

فتنة التكفير والإرهاب

إننا . معاصر المسلمين . نعيش في زمان عصفت بالأمة ريحٌ صرصر عاتية من فتن التكفير والإرهاب والغلو والتطرف، وشغلت قضية الإرهاب العالم أجمع، وعقدت كثرة من المؤتمرات والندوات لدراسة قضاياها والبحث عن جذوره وتجفيف منابعه، وشهدت هذه المؤتمرات خلافاتٍ حول تعريف الإرهاب، وسبل مكافحته.

مختلف تعريفات الإرهاب تكاد تتفق على أنه يتضمن عناصر عدة، أخطرها التهديد والترويع، وسفك الدماء وقتل الأبرياء، وتفجير المساكن والمركبات، وتخريب المرافق والمنشآت، وأمثال ذلك مما اتفق المسلمون على تحريمه، وتجريم مرتكبه، وعده من المفسدين في الأرض.

ولا يخفى أن الإرهاب هو الابن الشرعي للفكر التكفيري كما أثبتت ذلك الوقائع والاعترافات من المتورطين في أعمال إرهابية، ف جرائم الإرهاب التي رأيناها في كثير من البلاد ما هي إلا ثمرات سنواتٍ سمانٍ من الأفكار التكفيرية التي ما فتئنا نحذر منها ليلا ونهارا في كتبٍ ومقالاتٍ وأحاديثٍ مسجلة وغير مسجلة.

ومع أن الأمر الذي لا اختلاف فيه بين العلماء: أن الأصل في المسلم بقاء إسلامه حتى يتحقق زواله عنه بمقتضى الدليل الشرعي، ومن ثمَّ كان -لزاماً- على هؤلاء المكفرين ترك التساهل في تكفير المسلمين، لأن في ذلك محذورين عظيمين:

أحدهما: الوقوع في الوعيد الشديد؛ فإنَّ رسول الله ﷺ قال: ((أيُّما رجل قال لأخيه: يا كافر، فقد باءَ بها أحدهما إن كان كما قال، وإلا رجعت عليه)) متفق عليه، وقال ﷺ: ((من رمى مؤمناً بكفر فهو كقتله))، وقال ﷺ: ((لا يرمي رجل رجلاً بالفسوق، ولا يرميه بالكفر إلا ارتدت عليه، إن لم يكن صاحبه كذلك)) رواهما البخاري.

الثاني: افتراء الكذب على الله -تعالى-، لأن التكفير حكم شرعي، وحق لله -سبحانه-، فلا يكفر إلا من كفره الله ورسوله، وبعبارة أخرى: لا يكفر إلا من قام على تكفيره دليل لا معارض له من الكتاب أو السنة.

رغم ذلك، فإن الغلاة لم يكتفوا بتكفير عموم المسلمين، بل زادوا الطين بلةً، فانطلقوا في عمّايهم يكفّرون الحكام والدول والمجتمعات!! فاصطدمت الأمة -واصطَلتْ- بنيران فتنة التكفير، وما أعقبها من نتائج خطيرة، وآثار مدمرة.

وما كان ليخطر ببال أحد -في يوم من الأيام- أن تتحوّل حياة كثير من المسلمين -بفضل هذه الفتنة- إلى كابوسٍ كئيبٍ، أحال أوضاعهم إلى جحيمٍ لا يعرفون منه خلاصاً.

وبات أصحاب هذه الفتنة شؤماً على الأمة بحق؛ إذ شابها إخوانهم الذين وصفهم شيخ الإسلام ابن تيمية -بحق- أنهم: ((لم يكن أحد شرّاً على المسلمين منهم: لا اليهود ولا النصارى، فإنهم كانوا مجتهدين في قتل كل مسلم لم يوافقهم، مُستحلّين لدماء المسلمين وأموالهم وقتل أولادهم، مكفّرين لهم، وكانوا متديّنين بذلك؛ لعظم جهلهم وبدعتهم المضلّة)).

فلا جرم أن يمضي العلماء من السلف والخلف يحذرون من العجلة في الحكم بالرّدة عن الدين، والتساهل في التنازع بالتكفير المشين؛ حمايةً لأعراض المسلمين حكاما ومحكومين أن تُنتَهك، وصيانةً لدمائهم أن تُسْفَك!

قال ابن أبي العزّ الحنفيّ: ((إنّه لمن أعظم البغي أن يُشْهَدَ على مُعَيّن أنّ الله لا يغفر له ولا يرحمه، بل يخلّده في النار، فإنّ هذا حكم الكافر بعد الموت)).

وقال الإمام أبو عبد الله محمد بن عليّ المازري المالكي: ((من كفرَ أحداً من أهل القبلة؛ فإن كان مُستبيحاً ذلك: فقد كفرَ، وإلا فهو فاسقٌ يجبُ على الحاكم إذا رُفِعَ أمرُهُ إليه أن يُؤدّبَهُ ويُعزّزَهُ بما يكون رادعاً لأمثاله، فإن تُركَ مع القدرة عليه فهو آثمٌ، والله -تعالى- أعلم)).

فتنة التكفير والإرهاب

وقال أبو حامد الغزالي الشافعي: ((والذي ينبغي الاحتراز منه: ((التكفير))، ما وُجدَ إليه سبيلاً، فإن استباحة الدماء والأموال من المُصلِّين إلى القبلة، المُصرِّحين بقول: لا إله إلا الله محمدٌ رسول الله: خطأ، والخطأ في ترك ألف كافر في الحياة أهون من الخطأ في سفك دمٍ لمسلم)).

وَوَأدُّ فتنة التكفير فريضةً دينيةً، وضرورةً إجتماعيةً، ولن يكون ذلك إلا عبر تنفيذ شبهات أصحاب الفكر التكفيري المنحرف، وإزالة ما علقَ في أذهانهم، وأُشرب في قلوبهم من انحرافات الفهم لنصوص القرآن والسنة ونصوص أهل العلم...

لم يكتف الإسلام في حربه على الإرهاب بالتحذير من الغلو في التكفير الذي هو أسه وأساسه، بل حرم كل الأسباب والطرق المؤدية إليه من الترويع ولو على سبيل المزاح، والإشارة بالسلاح، بل حرم مجرد الخدش ولو من غير قصد! فكيف بالقتل بغير حق!؟

((كان الصحابة يسيرون مع رسول الله ﷺ في مسير فنام رجل منهم فانطلق بعضهم إلى نبل معه فأخذها فلما استيقظ الرجل فزع فضحك القوم فقال ما يضحكم فقالوا لا الا انا أخذنا نبل هذا ففزع فقال رسول الله ﷺ لا يحل لمسلم ان يروع مسلماً)) رواه أحمد وأبو داود، قال الشوكاني في نيل الأوطار ((في الحديث دليلٌ على أنه لا يجوزُ ترويعُ المسلم ولو بما صورته صورة المزح))

وفي حديث أبي هريرة المتفق على صحته: قال رسول الله ﷺ: ((لا يشيرُ أحدكم على أخيه بالسلاح، فإنه لا يدري لعل الشيطان ينزع في يده فيقع في حفرة من النار)).

قال ابن حجر في فتح الباري: وفي الحديث النهي عما يفضي إلى المحذور، وان لم يكن المحذور محققاً سواء كان ذلك في جد أو هزل .

وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة: قال أبو القاسم ﷺ: ((من أشار إلى أخيه بحديدة فإن الملائكة تلعنه حتى وإن كان أخاه لأبيه وأمه)).

فتنة التكفير والإرهاب

وفي حديث جابر المتفق على صحته: ((أن رجلاً مرَّ بأسهمٍ في المسجد قد أبدى نُصُولها، فأمر أن يأخذ بنصولها حتى لا تخدش مسلماً)) .
فإذا كان لا يجوز الترويع ولو مزاحاً، والخدش ولو بدون قصد، فكيف بسفك دماء الأبرياء بغير حق، فلا عجب أن يقف الشارع الإسلامي موقفًا صارماً من الإرهابي، لا سيما وقد ارتكب كثرة كاثرة من الخطايا العظيمة والجرائم الكبيرة، من الخروج على الحكام، ونقض العهد و البيعة، والغدر والخيانة، وقتل المسلمين والمعاهدين والمستأمنين، وتشويه صورة الإسلام، وصد الناس عن الدخول فيه!! ولا محيص أن نقف عند بعض المواقف الشرعية والعقوبات الإلهية التي توعّد بها إسلامنا هؤلاء الإرهابيين، لعلهم ينتهون أو يتذكرون! وليهلك من يهلك منهم عن بينة!، وليكفّ الذين في قلوبهم مرض ممن يرمون ديننا بالإرهاب والوحشية!

الإرهابي ليس منا نحن معاشر المسلمين

عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: ((من حمل علينا السلاح فليس منا)) متفق عليه.
وعن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: ((سباب المؤمن فسوق وقتاله كفر)) متفق عليه.

الإرهابي تلبس بإحدى السبع الموبقات

عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: اجتنبوا السبع الموبقات! (يعني المهلكات).
قيل: يارسول الله، وما هن؟ قال: ((الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق وأكل مال اليتيم وأكل الربا والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات)) متفق عليه.

الإرهابي في ورطة لا مخرج منها

قال ابن عمر رضي الله عنهما: ((إن من ورطات الأمور التي لا مخرج لمن أوقع نفسه فيها: سفك الدم الحرام بغير حله)) رواه البخاري.
الورطات جمع ورطة بسكون الراء وهي الهلكة، وكل أمر تعسر النجاة منه

زوال الدنيا أهون عند الله مما يفعله الإرهابي.

عن عبد الله بن عمرو، أن النبي ﷺ قال: ((لزوال الدنيا أهونُ عند الله من قتل رجلٍ مسلم)) رواه مسلم، وفي حديث البراء عند البيهقي: قال رسول الله ﷺ: ((لزوال الدنيا جميعاً أهون على الله من دم سفك بغير حق))

ما يفعله الإرهابي أشد حرمة من انتهاك الكعبة

روى ابن ماجه عن عبد الله بن عمرو، قال: ((رأيت رسول الله ﷺ يطوف بالكعبة ويقول: ما أطيبك وما أطيب ريحك، ما أعظمك وما أعظم حرمتك، والذي نفس محمد بيده لحرمة المؤمن عند الله أعظم من حرمتك ماله ودمه)).

الإرهابي عليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين

عن علي، عن النبي ﷺ قال: ((ذمة المسلمين واحدة، يسعى بها أدناهم، فمن أخفر مسلماً، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل منه يوم القيامة عدل ولا صرف)) متفق عليه.

فتنة التكفير والإرهاب

المراد بالذمة: الأمان. ومعنى الحديث: أن أمان المسلمين للكافر صحيح، فإذا أمنه أحد المسلمين حرم على غيره التعرض له ما دام في أمان المسلم، ويقتضي الأمان ثبوت الأمن والطمأنينة للمستأمنين من غير المسلمين فيحرم قتلهم، وسبي نسائهم، واغتنام أموالهم.

هل يغفر للإرهابي؟

عن أبي الدرداء، قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((كل ذنب عسى الله أن يغفره إلا الرجل يموت مشركاً أو يقتل مؤمناً متعمداً)) رواه أبو داود وابن حبان والحاكم.

هل تقبل توبة الإرهابي؟

عن ابن عباس، أنه سأله سائل، فقال: يا أبا العباس، هل للقاتل من توبة؟ فقال ابن عباس كالمعجب من شأنه: ماذا تقول؟ فأعاد عليه مسأله، فقال: ماذا تقول؟ مرتين أو ثلاثاً! قال ابن عباس سمعت نبيكم ﷺ يقول: ((يأتي المقتول متعلقاً رأسه بإحدى يديه متلبساً قاتله باليد الأخرى تشخب أوداجه دماً حتى يأتي به العرش، فيقول المقتول لرب العالمين: هذا قتلني فيقول الله عز وجل للقاتل: تعست ويذهب به إلى النار)). رواه الترمذي وحسنه والطبراني في الأوسط ورواه رواة الصحيح واللفظ له

الإرهابي ليس في فسحة من دينه

عن ابن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: ((لن يزال المؤمن في فسحة من دينه ما لم يصب دماً حراماً)) رواه البخاري.

فتنة التكفير والإرهاب

قوله: (في فسحة): أي في سعة منشرح الصدر، فإذا قتل نفسا بغير حق صار منحصرًا ضيقًا لما أوعد الله عليه ما لم يوعد على غيره، يعني: أنه يضيق عليه دينه بسبب الوعيد لقاتل النفس عمدًا بغير حق. انظر: عمدة القاري (٢٤ / ٣١)

الإرهابي يموت ميتة جاهلية

عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ، أنه قال: ((من خرج من الطاعة، وفارق الجماعة، فمات مات ميتة جاهلية، ومن قاتل تحت راية عُمية يغضب لعصبة أو يدعو إلى عصبة أو ينصر عصبة فقتل فقتله جاهلية، ومن خرج على أمي يضرب برها وفاجرها ولا يتحاش من مؤمنها ولا يفني لذي عهد عهده فليس مني ولست منه)) رواه مسلم.

الإرهابي يلقي الله ولا حجة له

عن عبد الله بن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: ((من خلع يدا من طاعة، لقي الله يوم القيامة لا حجة له، ومن مات ليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية)) رواه مسلم.

الإرهابي يحمل لواء غدر يوم القيامة

عن عبد الله بن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: ((إن الغادر ينصب له لواء يوم القيامة، يقال: هذه غدرة فلان)) متفق عليه.

وعن عمرو بن الحمق، قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((من أمن رجلا على دمه فقتله فإنه يحمل لواء غدر يوم القيامة)) أخرجه أحمد وابن ماجه وهذا لفظه.

فتنة التكفير والإرهاب

يقول ابن تيمية في الصارم المسلول (١ / ٩١): ((و من المعلوم أن من أظهر لكافر أمانا لم يجز قتله بعد ذلك لأجل الكفر، بل لو اعتقد الكافر الحربي أن المسلم آمنه و كلمه على ذلك صار مستأمنا قال النبي ﷺ فيما رواه عنه عمرو بن الحمق [من أمن رجلا على دمه و ماله ثم قتله فأنا منه بريء و إن كان المقتول كافرا] رواه الإمام أحمد و ابن ماجه.

الإرهابي أول من يقضى عليه يوم القيامة لجرم فعله وشدة غضب الله عليه!
عن ابن مسعود، قال: قال رسول الله ﷺ: ((أول ما يُقضى بين الناس يوم القيامة في الدماء)) متفق عليه.

الإرهابي لا يقبل الله منه نافلة ولا فريضة
عن عبادة بن الصامت، عن رسول الله ﷺ قال: ((من قتل مؤمنا فاغتنب بقتله لم يقبل الله منه صرفا ولا عدلا)) رواه أبو داود، والصراف: النافلة والعدل: الفريضة، وقيل غير ذلك.

الإرهابي يحول إرهابه بينه وبين دخول الجنة

فتنة التكفير والإرهاب

عن جندب بن عبد الله، قال: قال رسول الله ﷺ ((من استطاع منكم أن لا يحول بينه وبين الجنة ملء كف من دم امرئ مسلم أن يهريقه كما يذبح به دجاجة كلما تعرض لباب من أبواب الجنة حال الله بينه وبينه ومن استطاع منكم أن لا يجعل في بطنه إلا طيبا فليفعل فإن أول ما ينتن من الإنسان بطنه)) رواه الطبراني والبيهقي .

الإرهابي لن يشم رائحة الجنة

عن عبد الله بن عمرو بن العاص، قال: قال رسول الله ﷺ ((من قتل معاهدا لم يرح رائحة الجنة وإن ريحها يوجد من مسيرة أربعين عاما)). رواه البخاري واللفظ له، والنسائي إلا أنه قال: ((من قتل قتيلا من أهل الذمة)).

للإرهابي في النار أشد العذاب

عن أبي سعيد، عن النبي ﷺ، قال: ((يخرج عنق من النار يتكلم، يقول: وكلت اليوم بثلاثة بكل جبار عنيد، ومن جعل مع الله إلها آخر، ومن قتل نفسا بغير حق فينطوي عليهم فيقذفهم في حمراء جهنم)) رواه أحمد والبخاري.

إرهابي العملية الانتحارية تحرم عليه الجنة

عن جندب بن عبد الله، عن رسول الله ﷺ قال: ((كان برجل جراح فقتل نفسه، فقال الله: بدرَ عبدي بنفسه، فحرمتُ عليه الجنة)) متفق عليه.

إرهابي العملية الانتحارية يتردى في نار جهنم

عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: ((من تردى من جبل فقتل نفسه، فهو في نار جهنم، يتردى فيها خالدًا مخلدًا فيها أبداً، ومن تحسّى سما فقتل نفسه، فسمه في يده يتحساه في نار جهنم خالدًا مخلدًا فيها أبداً، ومن قتل نفسه بحديدة، فحديدته في يده يتوجأ بها في نار جهنم، خالدًا مخلدًا فيها أبداً)). متفق عليه.
وعنه رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: ((الذي يخنق نفسه يخنقها في النار، والذي يطعن نفسه يطعن نفسه في النار، والذي يقتحم يقتحم في النار)) رواه البخاري.

هذا الذي سبق من وعيدٍ شديدٍ ينتظر الإرهابي الذي يسفكُ ويُقتلُ ويدمرُ ويخرّبُ ثم يزهقُ نفسه في عملية انتحارية، فيوقع البلاء والفتن والمحن في المجتمعات، ويتسبب في التنفير من الإسلام، والصدّ عن سبيل الرحمن، إلا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً.

وكتب

د/ خالد علي محمد العنبري